

بحار الأنوار

[453] من أمرهم واختلاف، وكانوا يتمادون أحيانا في غيهم فيسلط الله عليهم من ينتقم به منهم فإذا رجعوا إلى التوبة كفى الله (1) عنهم شر عدوهم، فكان هذا حالهم من لدن توفي يوشع بن نون إلى أن بعث الله إسموئيل، وملكهم طالوت ورد عليهم التابوت، وكانت مدة ما بين وفاة يوشع إلى أن رجعت النبوة إلى إسموئيل أربعمئة سنة وستين سنة، وكان من خبر إسموئيل (2) أن بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم الأعداء واخذ التابوت عنهم فصاروا بعده لا يلقون ملكا إلا خائفين، فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين، وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم وضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة، فدعوا الله أن يبعث لهم نبيا يقاتلون معه، وكان سبط النبوة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد (3) جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، فولدت غلاما سمته إسموئيل، ومعناه سمع الله دعائي، وسبب هذه التسمية أنها كانت عاقرا، وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة أولادها، فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولدا، فرحم الله تعالى انكسارها وحاضنت لوقتها وقربت زوجها فحملت، (4) فلما انقضت مدة الحمل ولدت غلاما فسمته إسموئيل، فلما كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم وتبناه، (5) فلما بلغ أن يبعثه الله نبيا أتاه جبرئيل وهو يصلي فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ، فجاء إليه فقال: ما تريد؟ فكره أن يقول: لم أدع فيفزع، فقال: ارجع ونم، (6) فعاد جبرئيل لمثلها، فجاء إلى الشيخ فقال له: ما تريد؟ فقال: يا بني عد، وإذا دعوتك فلا تجبن، فلما كانت الثالثة طهر له جبرئيل عليه السلام وأمره بإنذار قومه وأعلمه أن الله بعثه رسولا، فدعاهم فكذبوه ثم أطاعوه، فأقام يدبر أمرهم عشر سنين، وقيل: أربعين سنة، وكانت العمالة مع ملكهم _____ (1) في المصدر: كفى الله. (2) في المصدر: إسموئيل بن بالي. (3) في المصدر: خيفة أن تلد. (4) في المصدر: وقرب منها زوجها فحملت. (5) أي اتخذها ابنا. (6) في المصدر: فكره أن يقول لم أدعك فيفزع، فقال: ارجع فتم. فرجع فعاد جبرئيل.